مكانة اللغة العربية بين العلوم والتفكير الإبداعي

د. لؤي حاتم يعقوب
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وبلاغتها،
جامعة أنقرة للعلوم الاجتماعية- تركيا

الملخص:

إنَّ للغة العربية دوراً بارزاً في التعليم وارتقاء مستوى الفكر عند الأفراد والمجتمع، حيث إنَّ انسيابية اللغة العربية وأساليبها الأدبية والبلاغية تُشجِّع الباحث والمستمع على تنمية أفعاله الإيجابية وقدرته على التفكير الإبداعي والفهم من خلال كثرة المفردات وعدد المتحدثين وتنوُّع الأساليب والمناهج ونشأة وتدوين مختلف العلوم بها.

ولقد حازت اللغة العربية على مكانة مرموقة من بين اللغات الأخرى بامتلاكها أكثر من صفة، باعتبارها لغة الأدب والشعر والثقافة بغض النظر عن كونها لغة دينية ونُزل وحُفظ القرآن الكريم بها، وكان لها دورٌ أساسيٌّ في بناء الأفق الفكري لدى متعلميها، من حيث الدقة في الأداء والحذاقة في الاختيار والبلاغة في التعبير والمهارة في الاستخدام والإجادة في المعنى وتنشيط المنطق المعرفي عند الأفراد.

أمَّا الهدف من تعلّم اللغة العربية أو أي لغة أخرى بشكل عام فهو يساعد على فهم أفكار الآخرين وثقافتهم، وهذا ما يُسمَّى عند اللغويين بالهدف الاستقبالي، أمَّا استخدام اللغة وتعلمها كوسيلة للتواصل والتلاقي بين المجتمعات المختلفة والتحاور فيما بينهم للوصول إلى أشياء جديدة ومبتكرة فهذا ما يُسمَّى بالهدف الإنتاجي أو الإبداعي. ومن أهم الوسائل التي تؤدي إلى هذين الهدفين؛ الاستقبالي والإبداعي هي الاهتمام بالتعليم وتحصيل العلوم واللغات المختلفة، حيث يعدُّ الاهتمام بالتعليم من أهم مرتكزات النتائج المثمرة وبمختلف محاور الحياة.

ولقد تناول هذا البحث ثلاثة مواضيع رئيسة؛ الأول: أهمية اللغة العربية ومكانتها بين العلوم، والثاني: أثر معرفة اللغات بالتعليم، والثالث: اللغة العربية والإبداع الفكري.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، التعليم، المناهج، الإبداع، الفكر.

المقدمة

تعتبر اللغة العربية اليوم من أكثر اللغات انتشارًا في العالم، وإحدى أهم اللغات عبر التاريخ البشري، إذا كانت تمثل لغة الأدب والشعر في الجزيرة العربية منذ العصور القديمة. ولقد شهدت اللغة العربية وعلى مرّ العصور إقبالًا متزايدًا في تعلمها وفهمها منذ القدم وإلى يومنا هذا حسب طبيعة المُتعلم وغايته وثقافته ومدى وعيه العلمي. وذلك راجع لأهميتها ومكانتها الدينية والعلمية بين العلوم الأخرى حيث احتوت هذه اللغة في بنائها المعرفي ونسيجها الثقافي وعمقها في مجال التأليف والتدوين ما لا يُعدُّ ولا يحصى من مختلف الفنون والعلوم وهذا ساعدها على أن تأخذ مكان الصدارة في التأليف.

إنَّ معرفة اللغات وتعلمها له دور رئيس في تنمية العقل البشري وترويضه نحو الفكر والإبداع إذ إنَّ مفهوم اللغة لا يعدُّ وسيلة للتخاطب الخارجي فحسب بل هو نظام أساسي يستخدمه الإنسان في التعبير والإيضاح وبناء الأفكار، ومن خلاله تُرسم شخصية المتكلم وثقافته.

وعلى ذلك أخذ هذا البحث بتسليط الضوء على الأهمية والمكانة التي خُصَّت بها اللغة العربية من بين اللغات الأخرى ودورها في بناء العلوم والفنون المختلفة، والحديث عن أهمية تعلم اللغات للباحثين ومدى تأثيرها وفاعليتها على الأشخاص، علاوة على التطرق إلى أثر اللغة العربية في بناء الأفق الفكري والإبداعي في محيط المعرفة والثقافة والأخلاق عند المجتمع.

١. أهمية اللغة العربية ومكانتها بين العلوم

احتلت اللغة العربية مكانة كبيرة في مجالات مختلفة من نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والعلمية وغيرها. فمن الناحية الدينية، نجد أنَّ اللغة العربية لها مكانة مرموقة عند المسلمين خاصَّة وعند غيرهم عامَّة، حيث امتلكت قدسية انفردت بها عن سائر اللغات؛ فهي لغة القرآن الكريم وأداة لتبليغ الرسالة الإسلامية ولغة التخاطب بين الشعوب المسلمة، ومن أهم ما تميَّزت به هذه اللغة أنَّها تطورت وتوسعت وحفظت بكتاب الله تعالى، وخطت به، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[١]

وعلى ذلك تُعدُّ اللغة العربية الوعاء الحقيقي والمفتاح الأساسي لفهم القرآن الكريم

١ سورة يوسف: ٢.

والسنة والعلوم الإسلامية كافة. ولا يخفى على الجميع أنَّ إجادة اللغة العربية بشكل دقيق يسهم وبشكل فعال في فهم معاني القرآن الكريم وشرح السنة النبوية، إضافة إلى كونها لغة العبادة والتعبُّد عند المسلمين، إذ لا تصحّ بعض العبادات إلا بها كقراءة القرآن، وذكر الشهادتين، وإقامة الصلاة وما إلى غير ذلك.[٢]

ومن الناحية الاجتماعية والثقافية، فتعدُّ المعرفة باللغة العربية الوسيلة الأسرع في الدخول والانخراط في المجتمعات والدول الناطقة بها، حيث معرفة الشخص بهذه اللغة يجعله أكثر تمكّنًا في السفر إلى تلك البلدان والانخراط مع سكانها وخاصة إذا كان من المهتمين بدراسة العالم العربي وفهم تاريخه وثقافته وحضارته [٣].

أمَّا من الناحية العلمية، فقد كان للغة العربية دور بارز بين العلوم والمعارف منذ نشأتها حتى تطورها ووصولها إلى ما هي عليه اليوم.[٤] ولو استعرضنا العلوم القديمة وما هي اللغات التي دوّنت بها لوجدنا أنَّ اللغة العربية قد حازت مرتبة متقدمة في كتابة وتدوين مختلف العلوم من بين اللغات الأخرى، وهذا كله يعود إلى أهمية هذه اللغة ومكانتها وقابلية مفرداتها على اتساع مختلف الفنون. ومن أهم العلوم التي دوّنت باللغة العربية منذ بداياتها نذكر منها على سبيل الإيجاز لا الحصر:

العلوم الطبية: أول من برع بتدوينها أمير الأطباء - كما لقبه الغربيون - ابن سينا المتوفى (٤٢٧هـ) حيث ألف ما يقارب ٢٠٠ كتابٍ شملت الطب والفلسفة والمنطق وعلوم مختلفة.[٥] ومن ثمَّ أبو بكر محمد الرازي المتوفى (٣١١هـ) أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق والذي قال في حقّه الغرب: شمس العرب تسطع على الغرب، حيث ألف كتاب «الحاوي في الطب» الذي كان مرجعًا طبيًّا رئيسيًّا في أوروبا لمدة ٤٠٠ عام، إضافة إلى كتابه «تاريخ الطب»، وقد ألف ما يقارب ٢٠٠ كتابٍ معظمها في الطب والباقي في العلوم

---

٢ عبد الله الطيار وآخرون، الفقه الميسر (الرياض: مدار الوطن للنشر، ٢٠١١)، ١٨٣/١.

٣ أحمد إسماعيل حسن علي، "مشكلات تعليم اللغة العربية" المؤتمر الدولي الثاني لتطوير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (إسطنبول: دار أكدم، ٢٠١٦)، ١٠٢.

٤ لمزيد من المعلومات ينظر: عثمان آكتاش، "أسس علم النحو العربي وأقدم النحاة/Arap Nahiv İlminin Temelleri ve İlk Nahiv Bilginleri"، İslami İlimlerin Doğuşu ve İlk Tartışmalar ، (أنقرة: دار فجر، ٢٠٢٠)، ١٨٦-١٩٢.

٥ موفق الدين أبو العباس ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة)، ٤٣٧.

الأخرى.[٦]

ومن العلوم الأخرى، العلوم الكيميائية: وأول رائد فيها هو العالم الكبير جابر بن حيان المتوفى (١٩٧هـ) والمعروف عند الأوربيين باسم جيبير، ويُعدُّ أول من استخدم الكيمياء عمليًا في التاريخ، وكانت له أكثر من مائة من المؤلفات، وتعتبر كتبه من أهم المصادر وأكثرها أثرًا في دراسات الشرق والغرب وقد ترجمت معظمها إلى اللاتينية.[٧]

ومن العلوم الأخرى، علم الفلك والحساب: حيث يعدُّ أبو الريحان البيروني المتوفى (٤٤٠هـ) من أشهر الذين ذاع صيتهم بالفلك والحساب والطب في زمانه، وله ما يقارب ١٨٠ كتابًا، ومن أشهر كتبه «مفتاح علم الفلك» وهو أوَّل من قال بدوران الأرض حول محورها.[٨]

ومن العلوم الأخرى، الرياضيات والجبر: ورائدها الأول أبو عبد الله محمد الخوارزمي المتوفى (٢٣٢هـ)، حيث يُعتبر المؤسس الأول لعلم الجبر والحساب، وله مؤلفات كثيرة في علوم الرياضيات والفلك ومن أشهرها كتاب «حساب الجبر والمقابلة» والذي يُعدُّ من أهم كتبه وقد تُرجم من العربية إلى اللاتينية ومن ثم الإنكليزية.[٩]

ومن العلوم الأخرى، الجغرافية والخرائط: ومؤسسها أبو عبد الله محمد الإدريسي المتوفى (٥٥٩هـ)، إذ يشار إليه بأنَّه أول من خط الخرائط الجغرافية، وله مؤلفات عديدة من أهمها «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» والذي ترجم فيما بعد إلى الفرنسية واللاتينية والإنكليزية والألمانية، ولقد طوَّر رسم خرائط الأقاليم، ولجأ إلى تحديد اتجاه الأنهار والبحيرات والمرتفعات.[١٠]

ومن العلوم الأخرى التي أُلفت باللغة العربية، علم الاجتماع: إذ يُعتبر عبد الرحمن

---

٦ جمال الدين أبو الحسن علي الشيباني القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ٢٠٧.

٧ ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨)، ١٨٨/١٣.

٨ عبد الحي بن فخر الدين الطالبي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩)، ١٧٠/١؛ عاطف محمد، رائد علم الفلك البيروني (القاهرة: دار اللطائف، ٢٠٠٣)، ٢٤.

٩ خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢)، ١١٦/٧؛ ديورَانت، قصة الحضارة، ١٨١/١٣.

١٠ الزركلي، الأعلام ٢٤/٧؛ إحسان عباس، العرب في صقلية (بيروت: دار الثقافة، ٢٠٠٣)، ١٦٠.

بن محمد ابن خلدون المتوفى (٨٠٨ هـ) مؤسس علم الاجتماع الحديث، وله مؤلفات عدَّة أشهرها كتاب «المقدمة».[١١]

وتنبغي الإشارة هنا إلى أنَّ احتواء هذه اللغة على كمّ هائل من المفردات والمصطلحات ساعدها على استيعاب جميع المواضيع والعلوم والقضايا المختلفة، حيث إنَّ جميع هذه العلوم وغيرها دوَّنت وكُتبت باللغة العربية آنذاك بعد ذلك ترجمت إلى اللغات الأخرى، رغم أنَّ بعض مؤلفي هذه العلوم من العلماء غير العرب ولكنهم دوَّنوا كتبهم باللغة العربية.

٢. أثر معرفة اللغات بالتعليم

تمثل ثنائية اللغة العنصر والدافع الأساسي عند الأفراد المتعلمين للتواصل مع الآخرين ومعرفة ما يدور بخواطرهم، فالذي يَعرِفُ أكثر من لغة نجده في الغالب يتمتع بذهن حاذق وبعقل متفتح وبتفكير فعَّال، فهو شخصان بجسد واحد. وهذا ممَّا أكدت عليه الدراسات الحديثة من أنَّ معرفة اللغات الأخرى والتحدُّث بها تُحسِّن من وظائف الدماغ وتزيد من الذكاء وتنمي مهارات التفكير الإبداعي والخيال، كما وتعمل على تقوية الذاكرة وزيادة القدرة على التركيز وتحليل المعلومات إضافة إلى زيادة الخزين اللغوي من الكلمات.

وهذه المهارات تتيح لأيّ شخص مُتعلِّم فرص كثيرة للوصول إلى تحقيق أهدافه وطموحاته، فمن الناحية العلمية عند متعلمي اللغات أنَّ الحديث مع الآخر وفهمه والاندماج والتواصل معه يُسمَّى بالهدف الإستقبالي. أمَّا استخدام اللغة وتعلمها كوسيلة للتلاقي بين المجتمعات المختلفة وتبادل الأفكار كالعمل على البحث والوصول إلى أشياء متنوعة وجديدة ومبتكرة فهذا ما يُسمَّى عندهم بالهدف الإنتاجي أو الإبداعي.

ولقد أصبحت دراسة اللغات الأخرى ومعرفتها من أهم الشروط للتواصل العلمي بين الطلاب والباحثين في مختلف الجامعات في العالم وإن بعدت المسافات وطالت ، فبعد تطوُّر التكنلوجيا وظهور الشابكة العنكبوتية (الإنترنيت) أصبح العالم قرية صغيرة يمكن الوصل إلى أي مكان يُرغب به ولكن بشرط تعلم ومعرفة لغة المخاطب.

فالطالب بمراحله المُتقدِّمة من السنوات الدراسية يحتاج للبحث في المصادر

١١ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨)، ٣-٤؛ الزركلي، الأعلام ٣/٣٣٠.

الأجنبية والتي بدورها تساعده في دراسته وتقدمه العلمي وتوسيع رقعته المعرفية، وهنا يبرز دور اللغة الثانية في التوصل إلى المحيط العلمي في الدراسة والبحوث. على العكس من الذي لا يجيد إلا لغة واحدة فسيكون أفقه العلمي محدود بتلك اللغة والمنطقة التي تدور بها لغته.

ولابد من الإشارة هنا، إلى أنَّ الضرورة في تعلّم اللغات الأخرى تزيد وتنقص من اختصاص إلى اختصاص آخر، فالدارس للعلوم الدينية والشرعية ينبغي عليه أن يتعلَّم اللغة العربية لأنَّها لغة القرآن الكريم ولغة الأحاديث النبوية التي تكلم بها النبي محمد (r)؛ للفهم والوصول إلى أصل المعنى المُراد من الآية والحديث الشريف، فمن دون تعلم اللغة العربية يصعب عليه فهم النصوص وقراءتها واستنتاج المعنى الحقيقي منها.[١٢]

وكذلك الذي يبحث في التراث الإسلامي والثقافات العربية والكتب المتنوعة التي أُلفت باللغة العربية قديمًا وحديثًا والكتب التي ترجمت إلى العربية وضاع أصلها فينبغي أن يكون على دراية تامة بهذه اللغة.

وعلى الصعيد الديني، حثَّ الإسلام على تعلم لغة الآخر والتعارف والتواصل مع الشعوب والمجتمعات بمختلف أجناسها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[١٣] وكان النبي (r) يدعو أصحابه الكرام إلى تعلُّم اللغات الأجنبية، ممَّا يعدّ إشارة واضحة في توجيه المسلمين إلى طلب العلم وإن كان في غير لغتهم، والبحث عنه في أي مكان.١٤ وجاء في الحديث أنَّ النبي محمد (r) في السنة الرابعة من الهجرة طلب من زيد بن ثابت (t) أن يتعلم لغة اليهود العبرانيَّة، قال زيد: "فتعلمتها... فكنت أكتب له إذا كَتب، وأقرأ له إذا كُتِب إليه".[١٥] وكذلك عبد الله بن عمرو بن العاص قد تعلم اللغة السريانية،

---

١٢ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٥)، ٧٤/٢؛ محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩) ٧٩.

١٣ سورة الحجرات: ١٣؛ وينظر: محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠)، ٢٥.

١٤ عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٧)، ٣٠٨.

١٥ أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين (بيروت: المكتبة العصرية)، رقم (٣٦٤٥)، ٣١٨/٣؛ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٣)، رقم (٢٠٤٠٧)، ٢١٥/١٠. من حديث خارجة بن زيد (وهو حسن صحيح).

وهلمَّ جرًّا.[١٦]

٣. اللغة العربية والإبداع الفكري

أخذت اللغة العربية بتراكيبها وألفاظها المحور الأساسي في بناء الأفق الفكري لدى متعلميها، من حيث المنطق وتكوين النسيج المعرفي والثقافي عند الأفراد. وإنَّ المتتبع للفروع التي برعت بها هذه اللغة يجد أنَّها لغة بلا حدود، وقد تداخلها بمختلف المجالات التعليمية والفكرية والثقافية وعلاقتها بالمجتمع ومكوناته باعتبارهم أول المتأثرين باللغة.١٧

أمَّا انسيابية اللغة وارتباطها بالإبداع الفكري فهذا عائد إلى خصائص اللغة العربية والأقسام المتنوعة التي اشتهرت بها على مختلف الأصعدة الدينية والنفسية والاجتماعية والحضارية؛ إذ إنَّ تعلمها وفهمها يؤدي إلى التعرف على جميع هذه المجالات بلا استثناء، وهذا ما يولّد ويطوّر عند الشخص ملكة المعرفة وتعلم العلوم.١٨

وعلى الصعيد التعبيري واللفظي، نجد أنَّ اللغة العربية بفنونها البلاغية والأدبية والثقافية والتعليمية، اصطبغت بالصبغة الدينية إذا دخلت الألفاظ الدينية المقتبسة من القرآن الكريم والسنة النبوية كعنصر أساسي في مكوناتها اللفظية بشكل إرادي أو غير إرادي، وأصبح المُتحدِّث بهذه اللغة وبواسطة الشعور اللاوعي يحمد الله في الشكر ويثني عليه أثناء السلام على الآخرين ويُحيِّيه في الترحيب والتواصل ويذكره في غالب حركاته وسكونه من غير أن يقصد، والذي دعاه إلى ذلك ليس التدين فحسب وإنَّما انسيابية اللغة العربية وتعبيراتها ومنطق تعاملها مع الآخر يقتضي ذلك.

ومن هنا يتولد عند متعلمي ومتحدثي هذه اللغة أفكارٌ ممتزجة بالأدب والثقافة والدين والعلوم والفنون المختلفة والتي بدورها تؤدي إلى الإبداع المتكامل الذي يتركَّب منه ما يجول في ذهن الإنسان.١٩ وبهذا المنطق والمفهوم نجد أنَّ المتحدث بلغة أخرى قد وضع لنفسه قوالب من التعابير والألفاظ الجاهزة في داخله، وهذه القوالب لا تنفصل مطلقًا عن مضمونها الفكري والأدبي والعاطفي، فكلامه بهذه المفاهيم حقَّق

١٦ أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ٣٤٣/٧.

١٧ حاتم صالح الضامن، علم اللغة (الموصل: دار ابن الاثير، ١٩٨٩)، ص٣٥؛ رمضان عبد التواب، المدخل الى علم اللغة (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧)، ص١٢٥.

١٨ عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه (دمشق: دار القلم، ١٩٩٨)، ٤٠-٤٢.

١٩ محمود فهمي حجازى، علم اللغة العربية (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع)، ٣٠.

خطاب الفطرة الإنسانية والشعور اللاواعي عند المتلقي فحصد بذلك الانجذاب الحسي والعاطفي قبل الذهني والفكري عند المستمع، فهذا الذكاء الناشئ في الخطاب جعل من اللغة آلته الخاصة وأداته في التفكير.[٢٠] وعليه لا نخطئ إذا أطلقنا على اللغة العربية لقب «لغة الإبداع».

إنَّ اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي لا مكان للألفاظ النابية وغير الأخلاقية في طبيعتها، حتى وإن تُرجمت هذه الألفاظ إليها من لغات مختلفة فتعدُّ غير مألوفة الاستعمال بها، وكادت تنعدم في قواميس اللغة العربية أجمع لأنَّ الأسلوبية في اللغة العربية النابعة من الشعر والنثر والمتشكلة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية جعل منها لغة جديَّة علمية دقيقة وواضحة لا تتحّمل الخروج عن الواقع المألوف.

ونجد أنَّ المصدر الأساسي في جعل اللغة العربية لغة الفكر والتجديد والإبداع هو «القرآن الكريم»، إذ حثَّ على التفكير واستخدام العقل في مواضع عدَّة، ولم يذكر العقل إلا في مقام التعظيم ووجوب العمل به والرجوع إليه.[٢١]

ولقد وردت لفظة العقل في القرآن الكريم على ما يقارب تسعة وأربعين موضعًا، وكلها جاءت بالصيغة الفعلية دون الاسمية، وصيغة الفعل في اللغة العربية أقوى من حيث الاستعمال من فاعلية الاسم فإنَّه يدل على الحركة والحدوث، وعلى هذا حثَّ على استخدام مركز الفكر عند الإنسان ألا وهو العقل، وإنَّ الفكر الذاتي للإنسان ينبغي أن يكون في حالة تجدُّد وحدوث دائم وهذا ما يقودنا إلى الإبداع المتجدد.[٢٢]

أمَّا لفظة التفكر فقد وردت في القرآن الكريم بنحو ثماني عشرة مرة، وبصيغ مختلفة وكلها تدلَّ على طلب الفكر باستعمال العقل، وهو تفاعل مستمر بين الإنسان والعالم الخارجي بواسطة ملكة العقل.[٢٣] وبذلك عرَّف الفكر ابن عاشور بأنَّه: جولان العقل في

---

٢٠ جوزيف فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠)، ٥.

٢١ محمد عبد المنعم القيعي، الأصلان في علوم القرآن (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ط٤، ١٩٩٦)، ٣٥٤؛ عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية (القاهرة: نهضة مصر) ٧.

٢٢ لمزيد بيان ينظر: باي زكوب عبد العالي، ياسر محمد، "مصطلح العقل في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه" **مجلة التراث**، ٢٠٢٠، ٢، ص٨٨.

٢٣ محمد خازر المجالي، "مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم"، **مجلة الشريعة والقانون**، ٢٠٠٥، ٢٣، ص٢٧.

طريق استفادة علم صحيح.[٢٤]

وهذه المنهجية في اللغة العربية تناسب حملة تنوير ملكة الفكر الإبداعي في مختلف العلوم والتي تناقض مقولات التقليد الأعمى المعتاد عليها في الجاهلية، إذ أنَّ الإنسان لا يُعرف إلا بما يصدر عنه من أفكار، وهذه الأفكار هي المعيار الأساسي في تحديد قيمة أي ذات، حيث ينظر إليها بعين التقييم والتقدير والتي من شأنها تعرف منازل الأشخاص ومراتبهم.

النتائج:

نجد أنَّ اللغة العربية قد شغلت مكانة مرموقة في جميع ومختلف العلوم؛ لأهميتها في المحيط الذي ترعرعت وانتشرت فيه، حيث كانت تمثل لغة الأدب والثقافة والحضارة والتجارة والاقتصاد. وممَّا ساعدها على ذلك وجعلها أكثر تمكينًا مقارنة باللغات الأخرى هو نزول القرآن الكريم بها، وحفظ معانيها ممَّا أضاف إليها فيما بعد الصبغة الدينية. فازدادت أعداد المتحدثين بها وارتفع شأنها وأهميتها في مختلف البقاع التي يقطنها المسلمين خاصة وعند الآخرين عامة، وهذا ممَّا شدَّ العلماء والمفكرين القدامى إلى الإقبال عليها والتأليف والكتابة بها. ولقد دوَّنت في اللغة العربية مختلف العلوم النادرة ومنها على سبيل المثال العلوم الطبية والكيميائية والفلكية والحسابية والجغرافية والفلسفية وإلى ما غير ذلك.

ويعدُّ تعليم اللغات من الأمور المسلمة عند المثقفين والمتعلمين منذ القدم، ولقد حثَّ الإسلام في القرآن الكريم على تعلم لغة الآخر والتعارف والتواصل مع الشعوب والمجتمعات بمختلف أجناسها، وأكد على ذلك النبي محمد (r) في مواضع مختلفة من أحاديثه حيث شوَّق وأمر بعض أصحابه بتعلم غير العربية كالعبرية والسريانية وغيرها. ولتنوع الفنون والمجالات التي برعت فيها هذه اللغة جعل منها لغة مميزة بتراكيبها ونسجها ومفرداتها ولا سيَّما على الصعيد المعرفي والبلاغي، إذ المتعلمون والمتحدثون بهذه اللغة ومن خلال ملكاتهم العلمية المكتسبة استطاعوا الوصول إلى الإبداع الفكري والإنتاجي في مختلف بحور العلم والمعرفة.

---

٢٤ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، **التحريروالتنوير** (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧)، ٢٤٤/٧.

المصادر والمراجع:

١. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة.

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق، خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨.

٣. ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠.

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

٥. آكتاش، عثمان، «أسس علم النحو العربي وأقدم النحاة/Arap Nahiv İlminin Temelleri ve İlk Nahiv İslami İlimlerin Doğuşu ve İlk Tartışmalar Bilginleri"، أنقرة: دار فجر، ٢٠٢٠، (١٧٧-٢٠٠).

٦. باي زكوب عبد العالي، ياسر محمد، «مصطلح العقل في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه"، مجلة التراث، ٢٠٢٠، ٢ (٨٥-١٠٢).

٧. البوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩.

٨. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق، محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٣.

٩. حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠. ديورَانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة، ترجمة، زكي نجيب محمُود وآخرين، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨.

١١. رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

١٢. زرزور، عدنان محمد، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دمشق، دار القلم، ١٩٩٨.

١٣. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق، فواز أحمد زمرلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٥.

١٤. الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.

١٥. السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق، محمد محيي الدين، بيروت، المكتبة العصرية.

١٦. الضامن، حاتم صالح، علم اللغة، الموصل، دار ابن الأثير، ١٩٨٩.

١٧. الطالبي، عبد الحي بن فخر الدين، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٩.

١٨. الطيار، عبد الله وآخرون، الفقه الميسر، الرياض، مدار الوطن للنشر، ٢٠١١.

١٩. عباس، إحسان، العرب في صقلية، بيروت، دار الثقافة، ٢٠٠٣.

٢٠. عبد التواب، رمضان، المدخل الى علم اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧.

٢١. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، القاهرة، دار السلام، ٢٠٠٧.

٢٢. العقاد، عباس محمود، التفكير فريضة إسلامية، القاهرة، نهضة مصر.

٢٣. علي، أحمد إسماعيل حسن "مشكلات تعليم اللغة العربية" المؤتمر الدولي الثاني لتطوير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، إسطنبول، دار أكدم، ٢٠١٦، (١٨٧-٢١٠).

٢٤. فندريس، جوزيف، اللغة، تعريب، عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠.

٢٥. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي الشيباني، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق، إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.

٢٦. القيعي، محمد عبد المنعم، الأصلان في علوم القرآن، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط٤، ١٩٩٦.

٢٧. محمد خازر المجالي، "مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم"، مجلة الشريعة والقانون، ٢٠٠٥، ٢٣ (٢١-٩٤).

٢٨. محمد، عاطف، رائد علم الفلك البيروني، القاهرة، دار اللطائف، ٢٠٠٣.